

بِلاشِيَة الأَرشِيدُوقِ والسَّباعِيَّةِ

obeikandi.com

ثلاثية الأرشيديوق مصنف ٩٧، مقام سى بيمول

هذا هو المؤلف المشهور باسم «تريو الأرشيديوق» للقيولينة والقيولونسيل والبيانو. ويتساءل ناقد بريطاني لماذا سمي هذا المصنف بالذات باسم الأرشيديوق، مع أن بيتهوثن قدم للأرشيديوق رودلف مجموعة من أهم أعماله: قدم له كونشرتو البيانو الرابع وكونشرتو البيانو الخامس. قدم له صوناتة «الوداع» وصوناتة «الهامر كلايفر» للبيانو. قدم له أوبراة الوحيدة «قيديليو». قدم له التريو الذى نسمع اليوم مقام سى بيمول كبير، وأخيراً قدم له العمل الهائل الجبار المعروف «بالقداس الاحتفالى» مقام رى كبير.

فلماذا اختار الناس تسمية الثلاثية للبيانو والقيولينة والقيولونسيل (مصنف ٩٧) باسم ثلاثية الأرشيديوق. يتساءل الناقد. وهذا التساؤل من الناقد البريطاني لا محل له. فالواضح أن دور البيانو فى هذا التريو دور غلاب، وبما أن الأرشيديوق كان عازف بيانو، فمن الجلى أن بيتهوثن ألف هذا التريو خصيصاً للأرشيديوق يؤدى فيه دوره كعازف، وطبيعى أن يعطى للبيانو الدور الأعظم. نعم إن كونشرتو البيانو الخامس، المعروف بالكونشرتو الإمبراطور، من الأعمال التى قدمت للأرشيديوق، ولكن ليس معنى هذا أن الأرشيديوق كان قديراً على عزف هذا الكونشرتو الصعب، وإن قيل بأنه كان يؤدى الكونشرتو الأول لبيتهوثن.

أقول من الواضح لكل مستمع أن البيانو هنا هو «الفديت»، أى بطل الثلاثية مقام سى بيمول. ولا أعنى بأن بيتهوثن أخل بالتوازن

التعبيري والبنائي للثلاثية. فهي من مؤلفات ما بين الحقبة الثانية والثالثة من حياته الفنية، كتبها عام ١٨١١. وإنما أعنى أن عازف الشيللو، وعازف الفيولين يشهران بأنها يقفان في هذا التريو خلف البيانو، والمفروض في موسيقى الصحاب أن تتساوى الآلات مقامًا. وأتكلم هنا عن تجربتي الخاصة فقد شاركت في عزف كل ثلاثيات بيتهوفن، وبالتالي خبرتها من داخلها، وكان إحساسي أنني وعازف الشيللو مظلومان بجانب البيانو، بعكس الثلاثيات الأخرى.

وأرجو أن لا يتأثر السامع بكلامي هذا، لأن المستمع إلى هذا التريو ممن لا يهمهم تقدم آلة على أخرى، سيقدر هذا التريو العظيم حق قدره عندما يحس بأنه حيال بناء موسيقى متكامل شامخ، تكاد تنوء بحمله الآلات الثلاث، لولا وجود البيانو من بينها. وإذا كان دور البيانو واضح الأهمية فلأن الأرشيديوق كما قلت كان عازفًا هاويًا، وكان تلميذ بيتهوفن الأثير، بدأ دروسه مع بيتهوفن في سن السادسة عشرة، وأحب أستاذه طول حياته، وأعانه في محنته المالية. وكان صادق الحكم على أعمال بيتهوفن، يكاد يحز في نفسه إذ يرى عملاً هاماً لبيتهوفن لا يحمل في صدره اسم الأرشيديوق رودلف.

وبهذه المناسبة أذكركم بأن من دواعي ارتفاع نجم فينا في التاريخ الموسيقى لم يكن فقط بسبب الشوامخ الذين عاشوا هناك ما بين أواخر القرن الثامن عشر ومطالع التاسع عشر، بل يرجع أيضًا إلى شغف أسرة الهابسبورج الإمبراطورية بالموسيقى الجادة العظيمة. وما أكثر ما أشرت إلى هذه الحقيقة، وهي أن عددًا من أعضاء تلك الأسرة المشهورة كانوا هواة عزف أو غناء ممتازين، نساء ورجالًا، وبعضهم كان مؤلفًا موسيقيًا، ومنهم هذا الأرشيديوق رودلف، أخو الإمبراطور، وتلميذ بيتهوفن.

وإذا سمحت لنفسى مرة أخيرة أن أعبر عن إحساس خاص ورأى

شخصي في التريو الذى نسع، فإني لا أحب كثيراً حركته الختامية، ربما لطولها، وربما لأن دور الفيولينة فيها منطفي إلى حد كبير. أما الحركات الثلاث الأخرى فهي من أجل أعمال بيتهوفن.

فلنستمع إلى قسم العرض في الحركة الأولى يتحدث عن نفسه.

الحركة الثانية: سكرتسو، وسرعته الليجرو، يقول شاوflر عنه إنه في مقدمة ما ألف بيتهوفن في باب الأسكرتسو، ويصف شاوflر حركته المعارضة، أى التريو، وصفاً غريباً، وصحيحاً في الوقت نفسه. فيقول بانه لحن مخيف، يزحف كأنه حية تسعى، وما يلبث حتى يجيء لحن آخر ليسحق رأس الحية، ويعيد البهجة سيرتها الأولى. ثم يعود لحن الأسكرتسو، والتريو مرة أخرى، فلحن الأسكرتسو، ويختم بكودا مؤسسة على لحن التريو.

وهنا أحرار فيما أصنع بالحركة الثالثة، وبودى لو استطعت تقديمها تفصيلاً، فهي لحن وتنويعاته، تقول عنه السيدة ماريوت سكوت في كتابها عن بيتهوفن: إنها مجموعة من أجمل التنويعات في الوجود، على لحن هو عصارة ألحان بيتهوفن البطيئة التي تعبر عن قلب كبير. كما يقول شاوflر بأن هذه الحركة فسيحة الأبعاد إلى درجة أنها تستطيع أن تؤدي أية وظيفة للتعبير الديني، أو للإفصاح عن الفرح، أو عن تباريح الهوى. ولقد حفظت لنا كراسات أحاديث بيتهوفن، في أخريات حياته، عندما لم يعد باستطاعة الناس أن يخاطبوا الأصم لا بالكتابة، أقول حفظت لنا تلك الكراسات سؤالاً لصديقه شندلر عن هذا الأندانتى يقول فيه:

إننى أعتبر هذا الأندانتى المثل الأجل والأعلى لتقديس الرب... وما أحسب الكلمات تجدى هنا كثيراً، فهي خادمة الكلم المقدس الذى تعبر عنه الموسيقى.

ولا نعرف بماذا أجاب بيتهوفن، فلا أقل من أن نسمع بعض هذه الموسيقى العلوية في لحنها الأساسي، وبعض تنويعاته.

وقد نبهتك في أول حديثي إلى أنني لا أشعر بميل خاص نحو الحركة الختامية وأنا مع القائلين بأنها تمثل هبوطاً سريعاً، وفجائئاً من تلك الأعلى التي ارتقت إليها التعبير الموسيقى في الحركات الثلاث الأولى. ومع ذلك فلا أريد لكلامي هذا أن يؤثر على تقديرك فلتسمعها في مكانها، أى ختاماً للثلاثية، ولتحكم عليها بما تراه.

Allegro moderato - Scherzo (Allegro)

Andante cantabile ma però con moto - Allegro moderato, Presto.



السباعية (سپتيور) مصنف رقم ٢٠، مقام مى بيمول

نستمع إلى سبع آلات تعزف عملاً صغيراً من أعمال بيتهوفن، للفيولينة والقيولا والفيولونسيل والكونترباس والكلارينت والفاجوتو والقور (كرونو). عمل أنيق جذاب، ألفه بيتهوفن في شبابه، وقبل انتهاء القرن الثامن عشر، وحاز من النجاح في وقته ما جعل بيتهوفن يتبرم به، «فيه إحساس، ولكن قليل من الفن».

ودفعني إلى اختياره أن مؤلفه استوحى الألحان الشعبية لبلاد الراين، وهى الألحان التى نشأ يستمع إليها في مسقط رأسه «بون» على ضفاف نهر الراين.

الحركة الأولى: لحن وثيد نبيل يؤدي إلى الليجرو في قالب الصوناتة، مؤسس على لحنين جميلين.

الحركة الثانية: يبدأ لحنها الأساسى على الكلارينت، ثم تردده الفيولينة يتوسطهما الفاجوتو. وسنلاحظ ظاهرة المباراة بين آلة الغناء الأوركسترا-الفيولينة - وآلة الغناء في الموسيقىات العسكرية- الكلارينت.

الحركة الثالثة: منويتو: عاد بيتهوفن إلى لحن هذا المنويتو في إحدى صوناتاته للبيانو.

الحركة الرابعة: أندانتى يتألف من لحن، وانبعاثات أو تنويعات له.

الحركة الخامسة: سكرتسو سريع، يدلنا على تصميم بيتهوفن منذ

أول عهده بالتأليف نحو الانتفاع بهذا النوع من الحركات السريعة،
بدل حركة المنويتو الرصينة. وها هو ذا في سباعيته يكتب هذا
الأسكرتسو بدل المنويتو الثاني، المعتاد وضعه في المؤلفات من نوع
الديفرتمنتو.

ولا تكتفى السباعية بخمس حركات، فهي من نوع «الديفرتمنتو»،
الشائع في أواخر القرن الثامن عشر، والديفرتمنتو يمتد دائماً إلى أبعد من
أربع الحركات التقليدية. وهنا في السباعية، يختمم بيتهوفن بحركة
سادسة.

الحركة السادسة: تبدأ وثيدة. ثم تنصرف إلى حركة سريعة جداً.
وقبل النهاية يعطى المؤلف فرصة للقيولينة لتلعب «كادنسة» قصيرة،
تعود بعدها الحركة إلى اندفاعها، حتى الختام

لم أجد بنفسى حاجة إلى تعمق التحليل. فالسباعية من تلك الأعمال
التي تجيش بها صدور شباب الموسيقيين، وهي تمثل عصرها تمام التمثيل،
وكأنى بها تقف في أعمال بيتهوفن لتودع فن القرن الثامن عشر كله.

Adagio, Allegro con brio. - Adagio cantabile - Tempo di Minuetto -
Tema con Variazioni, Andante - Scherzo (Allegro molto e vivace) -
Andante con moto, alla Marcia, Presto.

